

هذا هو الوهم الكبير الذى وقع شعراؤنا المعاصرون الذين ظنوا أن الشعر نبت شيطانى ينبت من لا شئ ، غافلين عن حقيقة أدبية مقررة وهى أن الشعر كأي فن من الفنون - نبات طيب يضرب بجذوره فى أعماق بعيدة يستمد منها الماء والحياة ، وبدون هذا الارتباط الوثيق بالأرض الطيبة التى تتد شعرا المعاصر إلى جذوره الأصلية الضاربة فى أعماق التراث، يفقد هذا الشعر عناصر الأصالة ومقومات الحياة ليصبح نباتا هشا لا يلبث أن يجف ويتساقط ويتحول إلى هشيم تذوره الرياح ، أو كما كان يقول جرير الشاعر الأموى الكبير إلى « شعر تهامى إذا أنجد وجد البرد » .

وتراثنا الفنى تراث خصب ، ورصيدنا منه رصيد ترى ، والعمالقة الكبار من شعرائنا الذين احتلوا قمم الفن الخالدة ككثيرون ، أعطوا حياتنا الأدبية عطاء سخياً ، وكانوا معالم بارزة فى تاريخنا الفنى الطويل ، ولولا أن هذا التراث يحمل فى ثناياه عناصر البقاء والخلود لما احتفظت به الحياة حتى اليوم ، ومن أحل ذلك لم يفكر أى شاعر فى شعرائنا الكبار فى الانفصال عن هذا التراث ، وإنما آمنوا جميعاً أنه أساس من أسس تكوينهم الفنى ، وقاعدة ثابتة تقوم عليها أعمالهم الأدبية ، فمضوا ينفقون من رصيده الضخم ، ويستغلون كنوزه الثرية فى براعة جعلت هذا التراث ، يتحول على أيديهم إلى مصدر من مصادر الإلهام ، وسر من أسرار العبقريّة ، ولم يقف هذا التراث أمام أى واحد منهم عقبة فى طريق التجديد أو حائلا دون الإبداع والابتكار .

والحقيقة التى يعرفها كل المؤرخين لأدبنا العربى أن عصور الضعف التى مرت به ارتبطت بالبعد عن التراث ، على نحو ما حدث فى أيام الحكم العثمانى للدولة العربية ، وأن عهود الازدهار ارتبطت بالاتصال به ، ولذلك نلاحظ أن البارودى عندما أراد أن يتنقذ الشعر من الهوة التى تردى فيها ، وأن يترفع به من السفوح التى انحدر إليها ، اتجه إلى الشعر القديم يستمد منه اكسير الحياة الذى يرد على الشعر روحه الضائعة ، ويعيد إليه نفسه المنهارة .

ولكن ليس معنى هذا أنتى أدعو إلى الفناء فى القديم ، وإنما معناه أن نوطد صلتنا به حتى نكتسب تلك الأصالة التى تكسب العمل الفنى صفة